الإصلاح النفسي
وعلاقته بالتنمية البشرية
من منظور الفكر الإسلامي

د. محسن كاظم مشالي

المقدمة

من المصطلحات الاثيرة لدى النفس البشرية مصطلح الاصلاح الذي ترنو له العيون، وتهفو له القلوب، وتنشرح له الصدور، ويسعى إليه كل عاقل، لا فرق في ذلك بين عربي وأعجمي، وبين شرقي وغربي، ومتدين وغير متدين، ومسلم ومسيحي ويهودي، أو بين سماوي ووضعي؛ فالجميع ينشد الاصلاح والكل تنصاع له، وتذعن له راغمة وراضية، وللإصلاح صور كثيرة، ومراتب عديدة، ودرجات مختلفة الاهمية من حيث الأولوية، ولعل الاصلاح النفسي يكتسب أهمية بالغة كونها يستهدف النفس التي بصلاحها تنصلح بقية المجالات ذات العلاقة. وقد كتب عن الاصلاح الكثير وكتب عن الاصلاح النفسي الشيء الكثير أيضا؛ بيد أن ابراز العلاقة بين الاصلاح النفسي والتنمية البشرية لم يكن واضحا في تلك الكتابات؛ لذا حاولت في هذا البحث تسليط الضوء على هذه العلاقة وابرازها وتجلية ما يكتنفها من مسائل تعيد الفرد والمجتمع في عملية التنمية منطلقا من أسس الفكر الاسلامي المنضبط كتابا وسنة ورواية. وقد قسمت هذا البحث على مقدمة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

حقيقة الإصلاح النفسي

• **المطلب الأول: الاصلاح لغةً واصطلاحاً**

مادة الاصلاح في كتب اللغة تتمحور على معنى بالضد من الفساد [١]، يقال صلح الرجل وصَلُحَ بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابك ، والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم لصَلُحَ يُذّكر ويؤنث وقد اصطلحا ، وتصالحا إصلاحاً بتشديد الصاد[٢].

والاستصلاح نقيض الاستفساد وأصلح الشيء بعد فساده ، بمعنى أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت[٣].

والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس ، اصطلحوا وتصالحوا [٤]، قال تعالى:﴿**أن يُصْلِحا**

(١) ابن فارس : احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م)، الدار الإسلامية لبنان، (د. ط) ، ٣٠٣/٣ .

(٢) الرازي : محمد بن أبي بكر (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح ، دار العلم بيروت - لبنان ، (د. ت) ، (د.ط) ، ٣٦٧.

(٣) ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار إحياء التراث ، (د.ط)، (د.م)، (د.ت) ٣٨٤/٧ - ٣٨٥ مادة، صَلَحَ .

(٤) الراغب: مفردات ألفاظ القرآن للاصفهاني ، تحقيق:

بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [١]، وإصلاح الله تعالى للإنسان يكون تارة بخلقه إياهُ صالحا وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح [٢]، قال تعالى:- **﴿ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ ﴾** [٣]، وقوله تبارك وتعالى **﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾**[٤].

- **الإصلاح اصطلاحاً:**

الإصلاح هو تهذيب للأفراد والجماعات، وتثقيف لهم، وحث على العمل الصالح وإبعاد البغض والكراهية، وهو في جوهره ضد الفساد والظلم، وضد حب الذات والتطلع إلى التملك والإنفراد، وهو يهدي إلى الإيمان والتقوى، والله سبحانه وتعالى يذكر أهل الإيمان والتقوى إذا أصلحوا أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٥].

قال تعالى : **﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٦]. والإصلاح أصله إصلاح النفس أو إصلاح العمل[٧].

وقد أشار القرآن الكريم إلى مطلق الإصلاح فقال تعالى:- **﴿ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [٨].

أي أن الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل والانبياء لما في ذلك من المصلحة للبشرية ومثيرين ما في عقول الناس من توحيد الله ، وعدله ، وحكمته مبشرين بثواب لمن امن به وعرفه[٩].

وفي موطن آخر يقول تعالى: **﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ ﴾**[١٠]. وهذه الآية أصل أصيل في ضرورة الحذر من مكر الله تعالى؛ فالله تعالى يخبر أنه لم يهلك أهل الأقوام والقرى وهو ظالم لهم، بل يهلكهم إذا فسدوا كلهم، أو أكثرهم [١١].

ولهذا على الناس الرجوع الى الله والتوبة وبهذا يتحقق صلاح النفس وهو الطريق لنجاح عملية الاصلاح قال تعالى: **﴿ وَقالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ**

صفوان عدنان داوودي ، الناشر: دار القلم - الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ :٤٩٠ .

(١) النساء : من الآية(١٢٨) .

(٢) الراغب: مفردات ألفاظ القرآن : ٤٩٠ .

(٣) الأحزاب: من الآية (٧١).

(٤) الاحقاف : من الآية (٨١).

(٥) ظ : فقيه : د. محمد فقيه ، أخلاقيات من وحي القرآن، ط١ (٢٠٠٣م، ١٤٢٣هـ)، دار المحجة البيضاء ، بيروت ـ لبنان ،٣١ .

(٦) الأنعام: الآية (٤٨).

(٧) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م ، ٥٤/٧ .

(٨) الأنعام : الآية (٤٨)

(٩) الطوسي : أبي جعفر محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ط١ ،١٤١٣هـ ،مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ،١٤٠/٤ .

(١٠) هود : الآية (١١٧).

(١١) الطوسي :التبيان في تفسير القرآن : ٧٩/٦-٨٠ .

الْمُفْسِدِينَ ﴾[١]. فهذا نهي من نبي الله موسى عليه السلام لأخيه بالنأي عن طريق المفسدين مع أن هارون نبي مرسل؛ لأن الرياسة كانت لموسى على هارون وجميع أمته، ولم يجز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك[٢].

وقد يأتي مصطلح الإصلاح ليشير الى عملية الاصلاح المجتمعي بين الزوجين كما في قوله تعالى: ﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ أن أَرادُوا إِصْلاحاً ﴾**[٣]. وقوله ﴿ **أن أَرادُوا إِصْلاحاً ﴾** أي بالمراجعة إصلاح حاله معها ، وحالها معه ، فأن قصد الإضرار بها فهي محرمة ، لقوله تعالى ﴿ **وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا ﴾**[٤] قيل : وإذا قصد بالرجعة الضرار فهي صحيحة وأن ارتكب بذلك محرماً ، وظلم نفسه ، وعلى هذا فيكون الشرط المذكور في الآية لحث الأزواج على قصد الصلاح، والزجر لهم عن قصد ضرار وليس المراد به جعل قصد الإصلاح شرطاً لصحة الرجعة[٥].

- **المطلب الثاني: النفس في اللغة والاصطلاح**
- **النفس لغةً:**

للنفس معاني كثيرة تفوق الحصر ، وقد ذكر العلماء بعض المعاني، منها:

١- الجسد :

تجيء كلمة النفس بمعنى الجسد، يقال ثلاثة أنفس، فيذكرون المعدود بقرينة إلحاق التاء بالعدد بلحاظ كون معناه الجسد أو الإنسان، ولو أراد به النفس بمعنى النفس الإنسانية ، لقالوا ثلاث أنفس ولعل استعمال النفس في الجسد استعمال مجازي بعلاقة الحال والمحل[٦].

وكلمة النفس بهذه المعاني تجمع على نفوس وأنفس، وشاهدها قوله تعالى :﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾**[٧]، وقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِها ﴾** [٨].

٢- الروح :

ومنه قولهم خرجت نفس فلان أي روحه[٩]، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾**[١٠]، والنفس هي التي تزول بزوال الحياة[١١].

وقد استعملت كلمة النفس لغير هذه المعاني في الدراسات الفلسفية والكلامية؛ فالقدماء من الفلاسفة يتعاملون مع كلمتي الروح والنفس تعامل

(١) الأعراف : الآية (١٤٢).
(٢) الطوسي : التبيان : ٥٣٤/٤ .
(٣) البقرة : من الآية (٢٢٨).
(٤) البقرة : من الآية (٢٣١)
(٥) الشوكاني: فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اللخمي (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ: ٢٠٨
(٦) البهادلي : الشيخ احمد ، من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس وآداب العشرة ، (د . ت) ، (د . م) ، (د. ط) ، (د.ن) ١٥/١ .
(٧) التكوير : الآية (٧).
(٨) الزمر: من الآية (٤٢).
(٩) ابن منظور: لسان العرب ، ٢٣٣/١٤، مادة نفس .
(١٠) الزمر : من الآية (٤٢).
(١١) ابن منظور: لسان العرب ، ٢٣٣/١٤، مادة نفس .

المترادفتين فيستعملونها بالمعنى الذي عرفوه بـ (الجوهر الشفاف السجين في الجسم)[١].

أما القدماء من علماء النفس : فهم عندما يطلقونها يريدون بها روح الكائن الحي فعرفوا علم النفس بـ (علم الروح)[٢].

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي : (هذا النوع ويقصد به الإنسان حين قام أنشِىء مُرَكّباً من جُزأين ومُؤَلَفاً من جَوهَرين ، مادةً بَدَنية وجَوهراً مُجرداً هما النفس والروح)[٣].

❊ ❊ ❊

(١) أفلاطون : جمهورية أفلاطون ، ترجمة ، حنا خبار ، ط٢ ، دار العلم ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٠م، ١٣٤.

(٢) الرحيم : د. احمد حسن ، علم النفس ، طبعة بغداد ١٩٦٤م،٢ .

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: لسيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت ١١١/٢ .

المبحث الثاني

الإصلاح النفسي وعلاقته بالتنمية البشرية

• المطلب الأول: تنمية العقل

أولاً: معناه

اختلف العلماء في بيان معنى العقل فبعضهم قال: هو تلك الملكة التي وهبها الله للإنسان يفكر بها والتي بها كرمه الله على سائر المخلوقات وميزه بها عليهم ، وأناط بها التكليف وبها يتمكن الإنسان أن يصل إلى درجات أعلى في المعرفة محققاً بذلك التقدم في سبيل الرقي والحضارة [٤][١] .

وقال آخر: هو نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية ، وبه الاستضاءة والهداية والنجاة وإدراك الكليات وبه تمييز الخير والشر وإتباع الحق ، وهو الدليل المرشد للعمل الصالح وبه يمتاز الإنسان على سائر الحيوانات لإدراكها الجزئيات فقط من كلأ وماء وغير ذلك[٥].

(٤) ظ : التركي : د. ناصر بن عبد الله : الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،(١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م)، ٢٢٥

(٥) المظفر :الشيخ عبد الصاحب جابر ، الأخلاق في حديث واحد ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ،(د.ط) ٩٨/١ .

وقيل هو النور الذي يميز الإنسان به بين الحق والباطل ، وبين الشر والخير وبين الممكن والمستحيل ، وبعبارة أخرى هو قوة الإدراك والتمييز والمعرفة ، فبالعقل يدرك الإنسان ويميز ويقوّم الأشياء[١].

ومن معانيه : القوة الغريزية التي تدرك بها عواقب الأمور فلا يُقدم ولا يُحجم[٢] إلا بحساب ونظر ، وهو بهذا المعنى غاية ما يؤمل من الإنسان[٣].

فهو غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ، ولو يطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس ولا ذوق ولا طعم وإنما معرفتهم لله سبحانه وتعالى إياه بالعقل منهم ، فبذلك العقل عرفوه ، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة ما ينفعهم ومعرفة ما يضرهم ، فمن عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه عرف أن الله تعالى قد من عليه بالعقل الذي سلبه أهل الجنون وأهل التيه ، وسُلب أكثر الحمقى الذين قلت عقولهم[٤].

وقد ورد ذكر العقل في الأخبار إلا أنه لم يرد في معنىً واحد قال الحر العاملي : (العقل يطلق في كلام العلماء والحكماء على معانٍ كثيرة وبالتتبع يعلم أنه يطلق في الأحاديث على ثلاثة معان :

١- قوة إدراك الخير والشر ، والتمييز بينهما ، ومعرفة أسباب الأمور ونحو ذلك .

٢- حالة وملكة تدعو إلى اختيار الخير والمنافع واجتناب الشر والمضار .

٣- التعقل بمعنى العلم ، ولذا يقابل بالجهل لا بالجنون .)[٥].

والعقل من المقومات المهمة في النفس وبه امتاز الإنسان عن سائر المخلوقات وفُضل عليها ، وقد حث القرآن الكريم مؤكداً على التعقل والتفكر والتدبر واستخدام هذه القوة الخارقة العجيبة ، فبالعقل يدرك الإنسان ويستدل ويهتدي إلى الخيار الأفضل عند مفترق الطرق وبه يُعرف الحسِن والقبيح وهو الميزان وملاك التكليف والمسؤولية أمام الله والناس وهو الحجة الباطنة وهو عدو الجهل وعدو هوى النفس[٦].

(١) الصفار : الشيخ حسن ، النفس منطقة الخطر ، ط ١، الرياض، (د.م) ، (د. ت) ،١٢ .

(٢) حجمه عن الشيء منعه وأحجم عنه كف أو نكس هيبته .

(٣) الكاشاني : محمد بن المرتضى المولى محسن (ت١٠٩١هـ) ، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ، ط٢، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ، ١٧٨/١ .

(٤) المحاسبي : الحارث بن أسد (ت ٢٤٣ هـ)، وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥ هـ)، شرف العقل وماهيته ، ط١ ، (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٧-١٨ .

(٥) عبده : محمد : شرح نهج البلاغة , دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، (د . ط)، (د. ت)، ١٦٣/١١

(٦) فرهاديان : رضا ، أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث , ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الرسول الأكرم

وتبقى الميول الفطرية و الجواذب الغريزية في حالة حرب مستمرة تتقابل فيها جيوش العقل وجيوش الأهواء النفسانية في ميادين الصراع فإذا كانت الغلبة للهوى على العقل بحيث يصبح أسيراً محكوماً بالأهواء فقد توفرت أسباب الانحراف الذي يؤدي بالإنسان إلى السقوط والانحطاط والشقاء الأبدي ، وأما إذا سيطر العقل على الأهواء ، ووظفها في سبيل التربية ووجهها الوجهة الصحيحة فأن الإنسان يرشد ويرقى وينشرح صدره ويأخذ بزمام نفسه ومقاليد أمره ويجعل الله دائماً في كل حركاته وسكناته وأفعاله نصب عينيه ، فيرقى حينئذ إلى درجة أولي الألباب وهم في عناية الله جل وعلا تشملهم هداية خاصة فيرفلون بالسعادة الأبدية [١].

وأن شر الدواب عند الله من لا يستعمل عقله ، قال تعالى: ﴿ **أن شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ [٢].

فوظيفة العقل هي القيام بأعمال منها التفكر والتذكر والفهم والتأمل في ساحة عالم الشهادة المحسوس مما يوصله إلى معرفة الله تعالى وعبادته بمساعدة الوحي له للوصول إلى هذه الغاية التي خُلق من اجلها . قال تعالى: ﴿ **وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [٣][١]

ثانياً: أقسام العقل

ينقسم العقل باعتبارات مختلفة إلى عدة أقسام منها:

أ- باعتبار ما يتعلق بالإدراك وينقسم إلى قسمين:

١- العقل النظري:

وهو الذي يدرك العلوم التي لا علاقة لها بالعمل مثل الكل أكبر من الجزء فمهمة هذا العقل هي إدراك النظريات العلمية وتكوين رأي كلي حولها [٤].

٢- العقل العملي:

وهو الذي يدرك أن هذا الشيء ينبغي فعله أولاً بعد إدراك العقل النظري له فمهمته التطبيق [٥][٣].

ب- باعتبار تفاوت إدراك العقل ، وهو ينقسم من هذه الناحية على درجات منها:

١- الإدراك الكامل وهو ما يسمى باليقين بحيث لا يحتمل الخطأ أو الاشتباه كإدراك الإنسان بأن الضدين لا يجتمعان [٦].

٢- الإدراك الناقص أو ما يسمى بالظن ، وهو ميل العقل إلى ترجيح شيء من دون أن يجزم

، بيروت – لبنان ،٥١-٥٢ .

(١) رضا فرهاديان : أسس التربية والتعليم : دار النشر العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي ط ١ – طهران ٥٢.

(٢) الأنفال : الآية (٢٢).

(٣) الذاريات : الآية (٥٦).

(٤) ناصر بن عبد الله : الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها : دارالنشر والتوزيع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠٠٥، ٤٦.

(٥) م . ن : ٤٦.

(٦) م . ن : ٤٦.

لاحتمال الخطأ[١].

ج ـ باعتبار نوع العقل ، وهذا ينقسم إلى قسمين:

١- غريزي:

وهو الذي يُمَيّز به الإنسان عن الحيوان وهو العقل الحقيقي الذي به يتعلق التكليف، ويكون في جبلّة الإنسان وينتقل بالوراثة وقد ينفك عن العقل المكتسب فيكون صاحبه خالياً من الفضائل كثير الرذائل ، إذ عن طريق العقل المكتسب يتقوى[٢].

وقيل هو ما سماه الحكماء عقلاً بالملكة وجعله الشارع مناط التكليف فقيل : هو العلم ببعض الضروريات ، سواء أكانت من مدركات إحدى الحواس الخمس ،أو كانت منبأة في النفوس كالعلم بأن الاثنين نصفها الواحد وأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم أما كونه علماً فلعدم تصور انفكاكهما إذ لا يكون عاقلاً لا علم له أو عالماً لا عقل له أصلاً وأما تعلقه بالضروريات ، فلأن العلم بالنظريات مشروط بكمال العقل فهو يتوقف على وجود العقل ثم على كماله فلا يكون نفسه ، وأما تعلقه ببعضها فلأن العاقل قد يفقد كثيراً من الضروريات لفقدانه شرط إدراكها واعترض على عدم الانفكاك بجواز التلازم بينهما[٣].

٢- **مكتسب :** وهو الذي يحصل للإنسان من طريق التجربة والممارسة في الحياة والتثقيف أي أنه يكون باختياره وبعد اجتهاد في تحصيله ومنه ما يحصل للإنسان بلا اختيار منه ، فلا يعرف كيف حصل له ؟ ومن أين حصل له ؟[٤].

والعقل المكتسب هو من نتائج الغريزي وهو عبارة عن تقاسمه المعرفة وصحة السياسة وحسن المداراة في كل الأمور وإصابة الفكر ، وليس لهذا احد لأنه ينمو إذا استعمل ، وينقص إذا أُهمل ، واستعماله بكثرة التجارب لأن التجربة مرآة العقل [٥].

وبما أن العقل المكتسب نتيجة للعقل الغريزي فلا ينفك عنه بمعنى أنه لا يمكن أن يوجد العقل المكتسب من دون وجود العقل الغريزي وليس لهذا النوع من العقل حد فهو ينمو ويكبر كلما أُستعمل ويعتريه النقص إذا ما أهمل [٦]. ونماؤه يكون بطريقين:

الطريق الأول: كثرة استعماله إذ لم يجد معارضاً من هوى أو شهوة وهذا ما نراه لدى بعض كبار السن من الحنكة وصحة الروية ، نتيجة لكثرة التجارب

(١) رشدي : محمد عليان : العقل عند الشيعة الإمامية ، ط١ (١٣٩٣هـ -١٩٧٣م) مطبعة دار السلام بغداد ، ٤٨ .

(٢) الأصفهاني : الراغب : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ط١ (١٣٩٣هـ)مكتبة الكليات الأزهرية ،٧٤.

(٣) العاملي : الحسين عبد الصمد الحارثي ، نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق ، ط٢ ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ، مؤسسة النور للمطبوعات , بيروت – لبنان ، ٣٦ -٣٧ .

(٤) الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة : ٧٤ .

(٥) الحسين عبد الصمد : نور الحقيقة و نور الحديقة في علم الأخلاق دار النشر والطباعة مؤسسة النور ٢٠١٥ ٣٩ .

(٦) ناصر عبد الله : الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها : ٤٦.

في الحياة وممارسة الأمور[١].

الطريق الثاني: يكون بفرط الذكاء، وحُسن الفطنة؛ فإذا اجتمع للشخصية الإنسانية هذان الطريقان فقد اكتمل العقل لديهما تماماً[٢].

والعقل المكتسب ضربان : -

احدهما: التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة .

الثاني : العلوم الأخروية والمعارف الإلهية، وطريقاهما متنافيان[٣].

- **المطلب الثاني: الصراع بين العقل والنفس**

أن من خصوصيات الإنسان وجود جدال ونزاع وأمر ونهي بين نَفسيّه ، ويعبر عنه بالجدال بين العقل والنفس أو بين الإرادة الأخلاقية وهوى النفس ، وهذه التجربة كثيراً ما تحصل للإنسان فنراه يعزم على فعل شيء يضاد ميله الطبيعي بحيث يكون ميله في جهة وما عزم عليه في جهة أخرى مضادة[٤].

والعقل ليس له دور حاكم مثل النفس ، لأن العقل يدرك الأشياء ويقيمها ، يدرك مثلا أن العدل حسن والظلم قبيح فدور العقل في حياة الإنسان هو دور الإدراك والتقييم ، ولكن النفس تتخذ الموقف ، وهي التي تبادر وتمتلك زمام الموقف ، فبيدها أن تُصَدّق وتعمل بما يقوله العقل أو تنحرف وتزيغ عما يقوله[٥]. قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**﴾[٦].

فمن الناحية العقلية أصدر العقل حكمه وقال لهم : - أن هذه الحقائق صحيحة وثابتة وواجبة ، ولكنهم جحدوا بها مع تيقن أنفسهم بصحتها لأن أهواءهم النفسية وعواطفهم الشهوانية لم تسمح بأن يطبقوا كلام العقل ، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ **وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٧].

فالعقل فرز أن الشيء حق ، وأدرك صواب هذا الأمر وأحقيته ، وقال للإنسان أن هذا حق ولكن الهوى والشهوات والعواطف هي التي تجعل الإنسان ينحرف عما يقرره العقل ويكتم الحق ويستر عليه[٨].

إذن وكما يقول علماء النفس هذا الجدال الداخلي للإنسان وبعبارة أخرى هما قوتان متصارعتان وهما في صراع دائم فواحدة تقول قم بهذا الفعل والأخرى تخالف ذلك ،وتعلن معارضتها فإذا ما انتصرت الميول الطبيعية الحيوانية على الإرادة الأخلاقية

(١) م . ن : ٤٦.

(٢) م . ن : ٤٧ .

(٣) الراغب الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة : ٧٦.

(٤) المطهري : الشيخ مرتضى ، فلسفة الأخلاق ، ط١ ، (١٤٢٤هـ) ، مؤسسة أُم القرى ، دار الهدى ، بيروت- لبنان، ١٢٦ .

(٥) حسن الصفار: النفس منطقة الخطر، دار النشر والتوزيع الصفار المملكة العربية السعودية الطبعة ٢، ١٤١٨هـ ١٦.

(٦) النمل : من الآية (١٤) .

(٧) آل عمران: من الآية (٧١) .

(٨) حسن الصفار: النفس منطقة الخطر، ١٦-١٧.

عـلى الميـول الطبيعيـة فـتراه وقد غمره إحسـاس بالنصر والمسرة وهذا الصراع قائم عند كل فرد [١].

وللإمـام علي بن أبي طالب (عليه السـلام) كلمات تعـبر عن حقيقـة يقول فيها: ((وكم من عقل أسـير تحت هوى أمير))[٢].

فالعقل أسـير ولكن عند من ؟ أنه أسـير عند الهوى المتآمـر في حيـاة الإنسـان ، فيأمر العقـل ويصبح أسـيراً تحت سيطرته ويشـير (عليه السلام): إلى أن العقل أنمـا يمارس دوره القيادي الصحيح في حياة الإنسـان إذا لم تقيده الأهـواء ورغبات الدنيا حيث يقول (عليه السـلام): ((شـدٌ على ذلـك العقل إذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا))[٣].

فالنفس يجب مقارعتها ولجمها وعدم تركها مطلقة العنـان تجول في الميدان وتصول ، والواقع أن هذه الحـرب الخفية الداخلية في الإنسـان تدور رحاها بـين النفس واللانفـس فأن تغلب الهـوى والميول الحيوانية وصارت بيدها الحكومة المطلقة، اختفت الإرادة والفطرة وانزوى العقل ، فالشـهوة والفضيلة فارسا ميدان النفس ، فالإنسان الذي لا تحكمه سوى المشـتهيات الحيوانية لا يخسر في الحقيقة سـوى نفسـه الواقعية [٤]. قال تعـالى: ﴿ **قُلْ أن الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ** ﴾[٥].

إذن النفـس لها قدرة التحكم بالعقل واسـتخدامه ، ومن هنـا تبرز أهمية النفس ويكمـن الخطر ، ومن هنا نجد القرآن الكريم يعلق سعادة الإنسان وفلاحه ونجاحه على مدى سـلامة النفـس ، لقوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّـا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى ، فَأن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى**﴾[٦].

❊ ❊ ❊

(١) مرتضى المطهري : فلسفة الأخلاق : ١٢٧-١٢٨ .

(٢) شرح نهـج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله محمد بن الحسـين بن أبي الحديد أبو حامـد، عز الدين(ت٦٥٦ هـ) تحقيـق: محمـد (أبو الفضل إبراهيـم) ، دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ٢١١.

(٣) م . ن: ٣٨.

(٤) مرتضى المطهري : فلسفة الأخلاق : ١٢٩ .

(٥) الزمر: من الآية (١٥) .

(٦) النازعات : الآيتان (٤١-٤٢).

الخاتمة

توصل البحث لعدة نتائج يمكن ايجازها فيما يأتي:

١- الإصلاح هو تهذيب للأفراد والجماعات، وتثقيف لهم، وحث على العمل الصالح وإبعاد البغض والكراهية، وهو في جوهره ضد الفساد والظلم، وضد حب الذات والتطلع إلى التملك والإنفراد، وهو يهدي إلى الإيمان والتقوى.

٢- تتجلى عملية الاصلاح النفسي وبيان علاقتها بالتنمية البشرية من خلال التركيز على الجانب العقلي لدى البشر.

٣- يعد العقل من المقومات المهمة في النفس وبه امتاز الإنسان عن سائر المخلوقات وفُضل عليها .

٤- لقد حث القرآن الكريم مؤكداً على التعقل والتفكر والتدبر واستخدام هذه القوة الخارقة العجيبة ، فبالعقل يدرك الإنسان ويستدل ويهتدي إلى الخيار الأفضل عند مفترق الطرق وبه يُعرف الحسِن والقبيح وهو الميزان وملاك التكليف والمسؤولية أمام الله والناس وهو الحجة الباطنة وهو عدو الجهل وعدو هوى النفس.

٥- تبقى الميول الفطرية و الجواذب الغريزية في حالة حرب مستمرة تتقابل فيها جيوش العقل وجيوش الأهواء النفسانية في ميادين الصراع.

٦- اذا كانت الغلبة للهوى على العقل بحيث يصبح أسيراً محكوماً بالأهواء فقد توفرت أسباب الانحراف الذي يؤدي بالإنسان إلى السقوط والانحطاط والشقاء الأبدي.

٧- إذا سيطر العقل على الأهواء ، ووظفها في سبيل التربية ووجهها الوجهة الصحيحة فأن الإنسان يرشد ويرقى وينشرح صدره ويأخذ بزمام نفسه ومقاليد أمره ويجعل الله دائماً في كل حركاته وسكناته وأفعاله نصب عينيه ، فيرقى حينئذ إلى درجة أولي الألباب .

٨- إن وظيفة العقل هي القيام بأعمال منها التفكر والتذكر والفهم والتأمل في ساحة عالم الشهادة المحسوس مما يوصله إلى معرفة الله تعالى وعبادته بمساعدة الوحي له للوصول إلى هذه الغاية التي خُلق من اجلها .

٩- ليس للعقل دور حاكم مثل النفس ، لأن العقل يدرك الأشياء ويقيمها ، يدرك مثلا أن العدل حسن والظلم قبيح فدور العقل في حياة الإنسان هو دور الإدراك والتقييم ، ولكن النفس تتخذ الموقف ، وهي التي تبادر وتمتلك زمام الموقف ، فبيدها أن تُصَدّق وتعمل بما يقوله العقل أو تنحرف وتزيغ عما يقوله.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١ . ابن فارس : احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م)، الدار الإسلامية لبنان، (د. ط) ، ٣٠٣/٣ .

٢ .ابـن منظور : محمد بن مكـرم بن علي بن احمد الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، لسـان العرب ، دار إحياء الـتراث ،(د.ط)، (د.م)،(د.ت) ٣٨٤/٧ - ٣٨٥ مادة، صَلَحَ .

٣.الأصفهـاني : الراغـب : الذريعـة إلى مـكارم الشريعـة ، ط١ (١٣٩٣هـ) مكتبـة الكليـات الأزهرية ،٧٤.

٤ .أفلاطـون : جمهوريـة أفلاطـون ، ترجمـة ، حنـا خبـار ، ط٢ ، دار العلـم ، بـيروت - لبنان ، ١٩٨٠م، ١٣٤ .

٥ .البهادلي : الشيخ احمد ، من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس وآداب العشرة ، (د . ت) ، (د . م) ، (د. ط) ، (د.ن) ١٥/١ .

٦ .حسـن الصفار: النفس منطقة الخطر ،دار النشر والتوزيع الصفار المملكة العربية السعودية الطبعة ٢ ،١٤١٨هـ ١٦ .

٧.الحسين عبد الصمد : نور الحقيقة و نور الحديقة في علم الأخلاق دار النشر والطباعة مؤسسـة النور ٢٠١٥ ٣٩ .

٨.الرازي : محمد بن أبي بكر (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحـاح ، دار العلـم بيروت - لبنـان ،(د. ت) ، (د.ط) ، ٣٦٧.

٩ .الراغـب: مفردات ألفـاظ القـرآن للاصفهاني ، تحقيـق: صفـوان عدنـان داوودي ، النـاشر: دار القلـم - الـدار الشـامية سـنة النـشر: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩: ٤٩٠ .

١٠ .الرحيم : د. احمد حسـن ، علم النفس ، طبعة بغداد ١٩٦٤م،٢ .

١١ .رشـدي : محمـد عليـان : العقل عند الشـيعة الإماميـة ، ط١ (١٣٩٣هـ -١٩٧٣م) مطبعـة دار السلام بغداد ، ٤٨ .

١٢ .رضـا فرهاديان : أسـس التربيـة والتعليم : دار النشر العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي ط ١ - طهران ٥٢ .

١٣ .شرح نهـج البلاغـة ، عبد الحميد بـن هبة الله محمد بن الحسـين بـن أبي الحديد أبـو حامد،عز الديـن(ت٦٥٦ هـ) تحقيق: محمـد (أبو الفضل إبراهيـم) ، دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ٢١١ .

١٤ .الشـوكاني: فتـح القديـر ، محمـد بـن عـلي بـن محمـد بن عبـد اللـه الشـوكاني اللخمي (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ: ٢٠٨

١٥ .الصفار : الشيخ حسن ، النفس منطقة الخطر ، ط ١، الرياض، (د.م) ، (د. ت) ،١٢ .

١٦ .الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير

القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م ، ٥٤/٧ .
١٧.الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: لسيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ١١١/٢ .
١٨.الطوسي : أبي جعفر محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ط١ ،١٤١٣هـ ،مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ،١٤٠/٤ .
١٩.ظ : التركي : د. ناصر بن عبد الله : الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،(١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦ م), ٢٢٥
٢٠.ظ : فقيه : د. محمد فقيه ، أخلاقيات من وحي القرآن ، ط١ (٢٠٠٣م،١٤٢٣هـ)، دار المحجة البيضاء ، بيروت ـ لبنان ،٣١ .
٢١.العاملي : الحسين عبد الصمد الحارثي ، نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق ، ط٢ ، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ، مؤسسة النور للمطبوعات , بيروت – لبنان ، ٣٦ -٣٧ .
٢٢.عبده : محمد : شرح نهج البلاغة , دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، (د . ط)، (د. ت)، ١٦٣/١١
٢٣.فرهاديان : رضا ، أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث , ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الرسول الأكرم ، بيروت – لبنان ،٥١-٥٢ .
٢٤.الكاشاني : محمد بن المرتضى المولى محسن (ت١٠٩١هـ) ، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ، ط٢، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ، ١٧٨/١ .
٢٥.المحاسبي : الحارث بن أسد (ت ٢٤٣ هـ)، وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥ هـ)، شرف العقل وماهيته ، ط١ ، (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٧-١٨ .
٢٦.المطهري : الشيخ مرتضى ، فلسفة الأخلاق ، ط١ ، (١٤٢٤هـ) ، مؤسسة أُم القرى ، دار الهدى ، بيروت- لبنان ، ١٢٦ .
٢٧.المظفر :الشيخ عبد الصاحب جابر ، الأخلاق في حديث واحد ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف، (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ،(د.ط) ٩٨/١ .
٢٨.ناصر بن عبد الله : الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها : دارالنشر والتوزيع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠٠٥، ٤٦.

❋ ❋ ❋